نجـــــوى

حدثتك أمس أيها المواطن عن مشاعرى وأنا أطوف بـــالأرض التـــى أنجبـــت رســـول المسلمين.... وحدثتك عن دعوته، وهن العقبات التى وضعا قومه فى طريقه لكى يدفنوا الـــدعوة الجديدة فى رمال بلادهم الشاسعة، ثم كافح محمد.

واستمر يكافح من اجل مستقبل قومه الذين حاربوه.. من اجل أن يعيشوا ف كنف العدالة والحق والعمل، وانهيت حديث ألامس بوقفتى أمام قبر الناضل العظيم نبينا عليه السلام...

وناجيته.. بحديث نفس وعت التاريخ فامتلأت بالأيمان الراسخ بالدين الحنيف.. وبالمرارة والاسى لما وصل أليه اتباع هذا الدين الذى كان كفيلا بان يهدينا ــ لو اتبعنا خطوات محمـــد ــ الى طريق العدل والحق والعمل.

ناجيت محمدا النبى وناجيت عمر العظيم الجليل وأبا بكر الآمين وارث الأمانة وحاميها...

كنت ساعتها فى وقتى أمام القبر الطاهر، أكاد ارفع صوتى فى غمرة مناجاتى صارخا.. يا محمد.. يا رسول الهدى.. يا قاهر الظلم.. يا رافع لواء الحق ف ارض شاع الجفاف فى رمالها...

مثلما سرى ف قلوب أهلها الذين اضمروا لك الشر.. يا نبى الله...

نحن من حولك جئنا من أطراف الدنيا. من سهول الروسيا ومن هضاب أسيا ومن أعماق أوربا، ومن أفريقيا نحمل فى قلوبنا الأيمان بربك وبك وبرسالتك.. وبكلمتك وأنت الذى حددت لنا ــ جميعا معالم الطريق أشرت لنا أليه وحدثتنا عنه وكنت قد مضيت قيه منذ مئات السنين حتى وصلت بقومه الى نهايته...

ثم ماذا حدث للأبناء والأحفاد.. لذريه المسلمين؟ لقد ضلوا الطريق.. فتهاووا فى شعاب الأرض يستبد بهم الظلم والعرى والجوع...

كنت انتفض فى مناجاتى.. بالأسى

كنت اقف أمام قبر أقوى الرجال جميعا واقدرهم.. كنت اقف أمام رسول قاد الشعب الى الحق والعدل والعمل.. شعبا كان قبل ظهوره يعيش فى صحراء لا ماء ولا شجر فيها.. لا علم فيها ولا عتاد.. لا رزق فيها ولا صدق.. لا حق فيها ولا عدل.. بلاد تسجد للجحر وتسبح بحمد الطغيان ويربط فيها البشر على بطونهم من الجوع بلاد الماء قطرة الماء فيها ثروة.. وظل الشجرة فيها نعيم مقيم .

واسرح فى مناجاتى الى أيام النضال الجليل فى سبيل البعث.. بعث شعب كان هذا حاله والنهوض به الى حد الانتصار على كل الأعداء.. فى أسيا وفى أفريقيا وفى أوربا..

كيف حدث هذا ؟

أو قل كيف اصبح الموتى اقصد شعب محمد أحياء..

عمالقة يشيع العدل بينهم والحرية فينطلقون من فوق رمال بلادهم القاحلة الى حيث بلاد فيها حضارات وفيها أباطرة وجيوش مثل النمل يضربون باسم الحق.. وينادون بان جاء الحق وزهق الباطل فتفتح أمامهم المصار... وتنهار أمامهم إمبراطوريات اصليه ثابتة.. وهم الحفاة وهم الجياع وهم الذين لا يقراون الكلمة ولا يكتبونها..

وكانوا لا يحملون فى مواكبهم الزاحفة الى شعاب الأرض فى أسيا وأفريقيا لا أوربا تأبدا أو سلاحا أو جيوشا كالنمل.. لا يحملون فى زحفهم على الدنيا سوى شئ واحد ملا رؤسهم.. يحملون رسالة محمد.. وما كان أقواها من رسالة.. أنها دعوة الى سحق الظلم والسخرة والاستبداد والانحلال... دعوة انسانيه هدفها هدم كل القلاع التى تقف فى طريق البشر جميعا وتعوق تقدمهم..

واظل وأنا فى وقفتى أمام قبر أقوى الرجال واقدرهم اسرح بخواطرى.. فاذكر يوم المدينة العظيم اليوم الذى تم فيه التآخى بين الأنصار والهاجرين وبعدها بدا الزحف الكبير.....

زحف الحق على الباطل ! وكيف كان ذلك؟.. البدو الحفاة الذين يضعون الحجارة على البطون ينقلون الى حيث جيوش كسرى فى فارس فيبيدونها ثم يقضون صرح إمبراطورية الفرس الكبيرة..

ويحطمون جيوش الرومان ويحطمون أعمدة إمبراطورية ظلت راسخة فى أعماق الأرض لا تتزلزل ولا تنهار أمام أقوى الجيوش واعظم الحملات.. لكن أقدام البدو الجياع تدوسها وتقهرها!؟

وكيف كان ذلك..!؟

أن محمدا كان يدعو الى الحق.. والحق هو افتلاك سلاح فى يد الإنسان. والحق هو الذى قهر الإمبراطورية الفرس لأنها لم تكن قائمة على عدل او حرية او مساواة.. وقهر إمبراطورية الرومان لأنها أيضا كانت تقوم على الظلم وألا ستبعاد والبطش ببنى البشر..

وأيضا على السلب والاستغلال..

المسلمون أذن انتصروا منذ تكتل الأنصار والمهاجرون ومضوا باسم الحق الى بقاع الأرض يحملون اعظم دعوة واروع منطق الى المظلومين الى أسيا.. الى العبيد فى أفريقيا وأوربا!..

وعلى أعمدة الحق والعدل أقام المسلمون إمبراطوريتهم..

وما كان أقواهم من عمد.. وما كان اصليبها!

فكيف انهارت.!؟

كيف انهار الحق ودفنت العدالة.. ومحق الخير. وفاصبحنا المسلمين فى أسيا وفى أوربا وفى أفريقيا يستبد بنا الظلم وتفترسنا الحاجة. ويقهرنا الغزاة على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم!؟

أهم على الحق.. ونحن على باطل.!؟

أهم رسل عدالة.. ونحن رسل شر...

أم ترانا قد هزمنا فى أقواتنا وفى علمنا وفى نهضتنا لان هناك من أحق منا بالحياة..

لسنا على باطل لأننا نحن مسلمين نؤمن برسالة نبى بعثه الله لينقذ كل من ظلم فى قوتـــه وفى علمه وفى حريته وفى أيمانه..

ولسنا رسل شر لأننا لا ندعو ألي استعباد او استغلال او بطش.. وليس هناك بشر أحق بالحياة من غيرهم علي الإطلاق..

أذن.. كيف اصبح حالتنا كما هو عليه ألان.

كيف جعنا وتعرينا وخضعنا لكل المظالم..

انني كنت أمام قبر اقوي الرجال.. واقدرهم أحاول أن اعرف.. وخواطري تندفع هنا وهناك.. ورأسي يدور.. وقلبي تتلاحق ضرباته كأني كنت فريسة لكابوس رهيب.

فأرنو بعيني الي القبر الطاهر وأري الأمل.. مضيئا ساطعا كالشهاب.. الأمل في الحق..

والي الغد. لأحدث المواطن عن حالنا ــ نحن المسلمين ــ وكيف انقلب من يســـر الـــي عسر..